



ذكري شكسبير

أحمد زكي أبو شادي

ذكري شكسبير

ذكري شكسبير

تأليف

أحمد زكي أبو شادي

المحتويات

٩

١١

١٣

١٥

تَوَطُّةٌ

السُّوَيْبَةُ

الرُّبَاعِيَّةُ

القَصِيْدَةُ



شكسبير (١٥٦٤-١٦١٦)

وُلدت ولكن بملك (الأثير) وزرت (بني الأرض) ترجو اعتبارا
فأعطيتهم كل ما قد خبرت وما ازددت أنت العليم اختبارا!
فأنت بمولدك العالمي ومنه انتقلت إلينا انتشارا!
ومن ظن كم كوكب في الفضاء حوى من نبوغك فيه ازدهارا!؟

تَوَطُّئُهُ

بقلم أحمد زكي أبو شادي

تتضمن هذه المجموعة الشعرية منظومات قرضتها تلبيةً لدعوة (جمعية الشعر Poetry Society) بمدينة لندن مناسبة فتح (مَمَثَلْ شكسبير التذكاري Shakespeare Memorial Theatre) بعد تجديده على إثر الاحتراق الذي نكب به حديثاً، وهي دعوة عامة إلى شعراء جميع الأمم الذين يقدرّون مزايا شكسبير وأثاره الخالدة ويفهمون حق الفهم شخصيته العظيمة وأدبه الرائع المثقف. وقد اختير يوم ٢٣ أبريل سنة ١٩٢٧ (وهو ذكرى ميلاد شكسبير) يوماً بل عيداً للاحتفال المرموق.

وما أقدمتُ على نظمها إلا مدفوعاً بعاملين قويين: أولهما؛ إكباري لهذا العبقرى العظيم الذي رفع رأس الإنسانية بنبوغه الفخم وعقله الجبار. وثانيهما؛ دافع الاشتراك في واجب قومي نحو هذا المثل العالي للإنسان العظيم — ذلك الواجب الذي يجب أن يُوزَّع على جميع الأمم المتحضرة، وأن لا يتخلَّى عنه أديبٌ أياً شعبٍ مثقَّفٍ، فإجلالاً لذكرى هذا الشاعر الممثَّل الحكيم، وبراً بسمعة وطني الأدبية التي ضرب لنا صاحبُ الجلالة (الملك فؤاد الأول) المثلَّ الصالح في الغيرة عليها بتبرعه السخيِّ (لممثَّل شكسبير)؛ نظمتُ هذه المنظومات الثلاث وإن تكن جهد المقلِّ، وحسبي بأداء الواجب ولذتي النفسية ما فيه الرضى لشعري ووجداني.

هذا وتبعاً لاقتراح (جمعية الشعر Poetry Society) نظمتُ هذه المنظومات:

(١) سونيتة^١ أو أنشودة على مثال شكسبير.

(٢) رباعية مناسبة للكتابة على جدران الممثل.

(٣) قصيدة عامة غير مقيدة بوضع أو حجم.

وقمتُ بطبعها طبعة خاصةً تسهياً لمطالعتها، على أن لا تُذاع بين جمهور المتأدبين إلا بعد الفراغ من النظر فيها بلندن كما تقضي بذلك الكياسة والواجب الأدبي المؤلف، واقتصرتُ على شروح قليلة لفائدة القارئ العربي الذي لا يعرف اللغة الإنكليزية ففاته الاطلاع على أدب شكسبير، وإن كانت لقصص شكسبير المترجمة منزلةً رفيعةً بين محبي الأدب في مصر على تباين معارفهم؛ إذ ينذر بينهم مَنْ لم يطلع على شيء من آثاره الأصلية أو المترجمة، وأخصُّ بالذكر ترجمة الشاعر المشهور خليل بك مطران لأهم قصص شكسبير ترجمةً، هي آيةٌ في البلاغة والإتقان.

بورسعيد في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٦

هوامش

(١) «السونيّة» هي قصيدة غنائية أو أنشودة على النسق الأوربي في أربعة عشر بيتاً، ويقال: إن من ابتدع هذا التأليف الشعري هو جيدو داريزو في القرن الحادي عشر للميلاد، وقد أبدع فيه شكسبير وملتن ووردزورت وكيّس على الأخص.

السُّونِيَّةُ

تُحْيِيكَ قَبْلَ تَحَايَا (الرَّبِيع) ١ نَفُوسٌ تَحْنُ إِلَيْكَ الْمَدَى
وَأَنْتَ الْمَرْحَبُ مِثْلَ السَّمِيعِ إِلَى (عَالَمٍ) مِنْ سِنَاكَ اهْتَدَى!
رَسَمْتَ لَهُ (الْكُونَ) رَسْمَ الْيَقِينِ بِمِرَاةِ شِعْرِكَ يَا فَاتِنُ
فَكُنْتَ الْمُدِينُ لِنَفْعِ الْمَدِينِ كَمَا يَنْقُذُ الْمُجْدِبَ الْهَاتِنُ
فِعْفَوًا إِذَا أَفْلَقْتَكَ التَّحَايَا وَصَفَحًا إِذَا صَاحَبْتَكَ الْأَمَانِي
فَأَنْتَ الَّذِي قَدْ مَنَحْتَ الْبِرَايَا غِذَاءَ الْمَوَاهِبِ فِي كُلِّ أَنْ!
فَمَنْ حَقَّ الصَّفْوُ ٢ هَذَا الْوَفَاءُ وَمَنْ حَقَّهُمْ كُلُّ هَذَا الْخُشُوعُ
فَأَنْتَ (النَّبِيُّ) ٣ وَمَا الْأَنْبِيَاءُ بِإِحْسَانِهِمْ غَيْرَ نَفْحِ يَضُوعُ
فَيَجْتَذِبُ الْخَلْقَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ كَمَا يَمْنَحُ الْخَلْقَ عَطَرَ الْخُلُودِ
فَلَا بَدَعَ إِنْ أَقْبَلُوا رُسُلَ حَجٍّ إِلَى فَيْلَسُوفِ الْمُنَى وَالْوُجُودِ!
وَكَمْ قَدْ بَكَيْتَ وَكَمْ قَدْ ضَحَكَتَ، بِتَمَثِيلِكَ الْمُسْتَعَزِّ الْحَقِيقِي
فَأَبْكَيْتَهُمْ مِثْلَمَا قَدْ مَنَحْتَ مِنَ الْأَنْسِ فِي مُوحِشَاتِ الطَّرِيقِ!
فِيَا (شَكْسَبِير) تَأَمَّلْ قَرِيرًا وَفَاءَ الْقُرُونِ الْبَوَاكِي الْخَوَالِي
تَجَدُّ حَوْلَكَ الْيَوْمَ جَيْلًا كَبِيرًا يَجِدُّ عَهْدَ الْقُرُونِ التَّوَالِي!

هوامش

- (١) إشارة إلى فصل إقامة الحفلة التذكارية لشكسبير (وتاريخها ٢٣ أبريل سنة ١٩٢٧)، فضلاً عن المعنى الشعري العام.
- (٢) الصفو: الخالص.
- (٣) أي نبي الشعر.

الرُّبَاعِيَّةُ

وافتُ إليكَ أميرَ الشعرِ خاشعَةً
فإنما (المُمْتَل) ١ الباقي بحرقته
انظرُ إذن تَلَقَّ آلافًا مجمعة
تُصغي إلى الحكمةِ الكبرى مؤلَّهة
شتى العقول تناجي نوركَ الهادي!
من رُوحك الفذِّ إبداعُ لأباد!
ما بين حاضر أرواحٍ وأجساد! ٢
فيك النبوغُ فتلقى حظَّ عبَّاد!

هوامش

(١) المُمْتَل: Theatre. وفي كلمة (الباقي) إشارة إلى دوامه رغم الحريق الذي نكب به. والحرقة: الحرارة.

(٢) إشارة إلى آلاف المعجبين بشكسبير في أنحاء العالم الذي يحجون إلى ممثله التذكري بأرواحهم، وبعضهم بأشخاصهم أيضًا.

القَصِيدَة

(١) عبقريته

شَأَوَتْ^١ العلى وملكتَ الفخارًا
وكيف أحدثتَ عنكَ النُفوسَ
فكنتَ لها قَبَسًا من جلالِ
وما زلتَ تنفُحُ أذكى الفهومِ
وكررتَ سنونُ ومَرَّتْ قُرونُ
فما كان تكريمُنَا رَدَّ دِينِ
وما الشمسُ مهما أطلنا الثناءَ
نجلُ حرارتَها والضياءَ
كذلك أنتَ الغنيُّ الأبِّيُّ
مُحالٌ لقدركما في وفاءِ
فماذا يُفيدُكَ مَدْحِي مرارًا؟!
وأنتَ الذي قد رفعتَ الستارًا^٢
وكانتَ لعقلِكَ بَحْثًا مُنارًا!^٣
وما زلتَ ترمقُ فيها الفخارًا!^٤
وما زال نفحكُ فضلًا مُعارًا^٥
إذا ما رَدَدْنَا الدُّيونَ الكبارًا!
بنائِلَةٍ بالثناءِ اشتهارًا!
وهيهاتَ نُرْجِعُ نُورًا ونارًا!
فأصبحتَ للشمسِ جِلًّا وجارًا!
وَفَاءُ يُعيدُ الحقوقَ الكِثارًا!

* * *

وأرَّخَكَ العالمونَ الثِّقاةُ
وقالوا وُلِدْتَ بأرضِ (الأفون)^٦
إذا انتسبوا فلكَ الانتسابُ
فقلتُ: أجلُّ، إنما أنتَ فيهمِ
وقد وهبَ الناسَ من رُوحِهِ
وجاءوا وُفودًا تزفُ ادِّكارًا
فصرتَ لأهليه دَوْمًا شِعارًا
وإن فخرُوا فلكَ الفخرُ سارًا
قرينُ (المسيحِ) تجلَّى وطارًا
وقد بذلَ التضحياتِ الغِزارًا

سوى إرثِ عمرِكَ لما تواری
وإن كنتَ فكرًا جليلاً مُثارًا^٧
وَزُرْتَ (بني الأرض) ترجو اعتبارًا
وما ازددت أنتَ العليمُ اختبارًا!
ومنه انتقلتُ إلينا انتشارًا!
حوي من نبوغك فيه ازدهارًا؟!
تشقُّ الفضاء وتطوي البحارًا!
أكانتُ حجىً في العلى أم غبارًا!
فقد كان كالنور حياً وزارًا!
ولا كان إلا السَّنا والأوارًا!^٨
تبتُّ الرجاءَ وتُقصي البوارًا!^٩
وَجُودًا جديدًا وكوْنًا مُدارًا!^{١٠}
سخياً كأنك تَرمي النصارًا!^{١١}
ببذلك لم يلقُ إلا اغترارًا
فما قال حقًا وما عزَّ^{١٢} دارًا
كذا العبقريَّة تأبى الإسارًا
وإن عشقتُ في هوانا المزارًا!

فما كلُّ آثارِكَ الخالداتِ
وإن كنتَ معنىً لغير الفناء
وُلِدْتَ ولكن بملك (الأثير)
فأعطيتهم كلُّ ما قد خبرت
فأنتَ بمولدك العالمِي
وَمَنْ ظنَّ كم كوكبٍ في الفضاء
فإنَّ الحياةَ كموج الضياء
ولن يعلمَ الناسُ ما أصلُها
ولكن لعقلك إني الضمينُ
فما لوئنته ذنوبُ الأنام
أشعَّتُه عمرُها كالزَّمان
وتُهدِي حرارتُها للنفوس
فيا للغنى في الذي قد بذلتَ
فمن لم يرَ القدسيَّ البهيَّ
وَمَنْ قال إنك رهنٌ لأرضٍ
فإنك فوق أماني الغرور
لها وطنٌ في الرِّحيبِ الوجودِ

* * *

هديتَ الكبارَ وسُستَ الصغارًا^{١٣}
فحسبُ، ولكن قدَرنا النهارًا!
يسرُّ العفاةَ^{١٤} ويهدي الحيارى
إذا صاحب الفضلُ فيه الوقارًا!^{١٥}
سواء لمن نالَ منك اليسارًا
إذا ما اقتصرنا عليه اقتصارًا
ونستعرضُ الأدبَ المستشارًا
وإن كنتَ مجدًا لنا مستعارًا!

فيا عَلمًا في كبارِ الرِّجالِ
قدَرناك لا كوكبًا مغربيًّا
بأنواره وبآلائه
وما الفردُ في ذاته بالقليلِ
فإن قِيلَ فردٌ وإن قِيلَ نجمٌ
وحسبُ الحقيقةِ وصفُ اليقينِ
فنترك أصلك للفلسفاتِ
ونفخر بالأرضِ بين الرُّجومِ

(٢) تفننه ونمطه

ولا غرَوَ إنْ عَشَتْ دَهْرًا إِمَامًا
وتبعثُ حُكْمًا يُبِيدُ الظَّلَامَا
وقوتهُ أنْ يدومَ احتكامًا
فصانَ الفضائلِ صُونًا وحمَى
بإعجازه، وهَدَى مَنْ تَعَامَى
فما قالَ زُورًا ولا نالَ ذامًا
صُنُوفَ الوريِّ والمنَى والحُطَامَا^{١٦}
إلى مضحكاتِ سقينَ المداما
إلى محسناتِ بَنِينِ الغراما
وَهَبَنَ الشعورَ السليمَ السلامَا
ظُهُورًا كرسِمِ تجلى ودامَا
وإنْ كنتِ أغنيتَ عنه^{١٨} الأنامَا!
وهذي سطورك قامتِ قيامًا؟!
رأينا المعاني ازدحمنَ ازدحامًا
مَشَاهِدَكَم منحتنا اغتنامًا
زمانًا كريمًا، وعُدنا كرامًا
حَيَارَى تُتَاجِي المعاني الجسامَا
إلى ما اعتقدتَ وما قد تسامَى^{١٩}
برأيك فاخترتَ هذا الغمامَا!
فحيرتِ الناسَ حتى العظامَا
وأحييتَ رجاءً وردتَ أوامَا
إذا بالتبسمِ ليس ابتسامَا!
ومقتسمٌ للذكاءِ اقتسامَا!
وفيكِ الفراسَةُ تلقى اعتصامَا!
نُفوسًا وخُلُقًا ولهواً وجامَا!

بك اثتمَّ جيلٌ، فجيلٌ، وجيلٌ
فقد كنتُ تفحصُ فحَصَ الخبيرِ
خلاصتهُ تجرباتُ الحياةِ
كأنك فرقانُ دينِ جديدِ
ووحَّدَ أدياننا في اعتقادِ
فحدَّثنا عن معاني الوجودِ
ومثَّلَ ما شاء إبداعه
فمن فاجعاتِ تذيبُ الحديدَ
ومن حادثاتِ هدمنَ الغرامِ
وَمِنْ نُخبِ الوصفِ في شعره
جعلتَ البيانَ لأذنِ السميعِ
وأغنيتَ^{١٧} أيضًا بتمثيله
وما حاجةُ الناسِ من ممثَّلِ
إذا ما قرأنا أناشيدها
ومرَّتْ فصولٌ بألبابنا
فُسُحنا بها في الوجودِ الفسيحِ
وَمِنْ عَجَبِ أنْ تركتَ العقولَ
ترى أَلْفَ وَصْفٍ بلا مُرشدِ
كأنك أشفقتَ من صدمها
وحجَّبتَ مرآةَ روحِ تسامتِ
وإنْ وهبتنا سخيَّ الشعاعِ
فبيننا نخالك ربَّ ابتسامِ
عويصِ المعاني بعيدِ الأمانِ
فعندك من كلِّ نوعِ نصيبِ
وتحيا بأثارك الخالداتِ

فكوّنتِ عِلْمًا جَدِيدًا مُجَادَا
 وَأَنْطَقْتَ حَتَّى الضَّنِينِ الْجَمَادَا
 بِمَا قَدْ مَنَحْتَ غِذَاءً وَزَادَا
 بِمَنْ عَزَّ أُمَّتَهُ وَالْبِلَادَا^{٢١}
 فَيَخْلُقُ حَتَّى الْقَدِيمِ الْمُعَادَا^{٢٢}
 وَيَنْقُلُ عَنْهُ الْعَزِيزَ الْمَرَادَا
 وَمَنْهُ اسْتَمَدَّ السَّنِيَّ الْمَدَادَا
 كَثَارًا بِمَمَثَلِهِ أَوْ فُرَادَى
 يِدَانِيكَ فِيمَا بَحَثْتَ اجْتِهَادَا
 تَجَسَّمُهُ صُورَةً أَوْ جِهَادَا
 بِسَطْنَا لَهَا وَوَهَبْنَا الْفَوَادَا!
 شَهِيًّا كَأَنَا نَذُوقُ الشَّهَادَا^{٢٣}
 وَخِصْبٍ يَزِيدُ الْعُقُولَ اعْتِدَادَا
 فَنَغْنَمُ مِنْكَ السَّرِيحَ الْحِصَادَا
 نَشَاهِدُ فِيكَ الْوَحِيدَ الرَّشَادَا
 وَهَبْنِ الْجَمَالَ مَنَالًا وَأَدَا^{٢٥}
 وَكُنْ لِرُكْنِ الْبَيَانِ الْعِمَادَا
 تَنَاجِي صَدِيقِكَ حَتَّى تَهَادَى!^{٢٧}
 وَرَقَّتْهُ تَسْتَهِيمُ الْمَنَادَى
 أَفْدَنْ الَّذِي بِالشَّعَاعِ اسْتِفَادَا
 تَجَسَّمَنْ حَتَّى غَدُونََ اعْتِقَادَا!
 وَكَمْ كَانَ جَدًّا فَلِذَّ انْتِقَادَا
 فَجَازَيْتَهُ بِالنَّبُوغِ الْوَدَادَا!
 إِذَا الْمَتَعْلَمُ أَوْفَى وَزَادَا
 إِمَامٌ حَبَاكَ ابْتِدَاعًا وَقَادَا

نشأت بعصر لبعث العلوم^{٢٠}
 وسألت حتى قصي الرجوم
 وأمتعت مستأهلات الفهوم
 وألهمتنا كيف يسمو الشعور
 وكيف تفتن رب النبوغ
 يقلب طرقًا بهذا الوجود
 فخط عن الحق إعجازه
 كذلك في فحصه للأنام
 وحقك ما عاش قبلاً رسول
 فمن خبرة بشعور الورى
 إلى نكهة من مزاح الحياة
 إلى قوة في اختراع البيان
 إلى حيلة في ابتكار المعاني
 إلى قدرة في اقتباس سريع^{٢٤}
 إلى صحة الحكم حتى كأننا
 مواهب فكر بعيد المنال
 وحرزن أسرى الظلام البهيم^{٢٦}
 فله شعرك ملء النشيد
 عذوبته كنعيم الخلود
 ولله أمثاله رائعات
 أقاصيصه ثم تمثيله
 بدأت الحياة بها مازحًا^{٢٨}
 وصاحبت (مارلو)^{٢٩} بها هاديًا
 يعيش المعلم في علمه
 ويخلد قربك في الفاتحين

القَصِيدَة

ولما انتقلت لعهد (الدرام) وألبستنا للشجون الحدادا
 عرفنا الحياة بألوانها فصاحب فيها الضياء السّوادا^{٣٠}
 وعشنا نوّاسيك طورًا وطورًا نبادلك الائتناس ارتيادًا
 شخوصك لَمَّا نزلُ للحديث تحدّث عنك العلى والعبادا!
 وأسفارٌ وحيك مثل الكواكب عزت ولكن بلِغن ارتيادا!^{٣١}
 فنسمو إليها سموّ الخيال لنلقى الحقيقة تزهو اتّقادًا!
 ونرتدُّ عن رصدِ شتى النجوم وما نرتضي عن حجاج ارتدادا!

* * *

فيا (شكسبيرُ) إذا ما احتفلنا بعيدك دَيْنًا لمن قد أفادا
 فمن مجدنا أن جُمعنا لِنَحْظِي بمعنى البقاء ونلقى اعتضادا!
 وهيهات غيرك تُلقَى لديه خلائقه يحتشدن احتشادا
 فهذا (فيلستاف)^{٣٢} جمُّ المزاح وذلك (هملتُ) يبغي انفرادا
 و(رميو) يغني بشعر الهوى و(جلييتُ) تصبو إليه اتحادا
 و(قيصرُ) في جنده لم يمت يرى في رثائك عمرًا مُعادا!
 وهذا (عطيلُ) وجمْعُ (الملوك) نسوا في حماك الخطوب الشدادا
 وشتّى الرجالِ وشتّى النساء لمن بالخلود على الناس جادا
 جُمعنا وجاءوا سواء فما قنعنا هوى أو خشيت النفاذا^{٣٣}
 وقد رُمّت قبرك بيتَ السكون^{٣٤} وما كنت إلا رقيبًا تُنادى!
 فما غبتَ عنّا وما متَّ صدقًا ولو متَّ أعظمُّ بهذا معادا!^{٣٥}

هوامش

- (١) شأوت: سبقت.
- (٢) إشارة إلى تعمق شكسبير في الدراسة النفسية وتجلي النفوس له وتجليه لها؛ مما أغناه عن الحديث عنها، وفي لفظ «الستار» تورية تمثيلية أيضًا كما لا يخفى.
- (٣) إشارة إلى إضاءته إياها بنور عبقريته الباحث.
- (٤) أي فخارها لعنايته بها.

(٥) من الحقائق المعروفة أنه لا يوجد أدب عام خلا الكتب المقدسة (التوراة والإنجيل والقرآن) والمؤلفات الأثرية قد اشتهر شهرة مؤلفات شكسبير التي صارت منقولة إلى جميع اللغات الحية، إن لم تكن كلها فجلها. وقرأ العربية يعلمون فضل شكسبير منذ أواخر القرن الماضي؛ حيث عني بتعريب خيرة قصصه المرحوم الشيخ نجيب الحداد، وعني بإظهارها على الممثل المرحوم الشيخ سلامة حجازي، وكان يُقبل عليها الجمهور أيما إقبال. وقد مرت على وفاة شكسبير نيف وثلاثة قرون ولا يزال صيته في الذبوع، وقدره موضع الإجلال العام في عالم الثقافة والمدنية، حتى إن الحرب العالمية لم تحل دون الاحتفال الفخم بالذكرى المئوية الثالثة على وفاته في مايو سنة ١٩١٦م في أنحاء المعمورة، ولشكسبير شهرة عظيمة حتى في ألمانيا، بل يجوز لنا أن نقول: إن ألمانيا أسبق الممالك حفاوة بشكسبير بعد وطنه إنجلترا.

(٦) ولد شكسبير في مدينة سترانفورد الواقعة على نهر الأفون في مقاطعة وارکشير بإنجلترا.

(٧) نشأ شكسبير في عهد الثورة الفكرية في إنجلترا — عهد اليصابات الذهبي، وقد أخذت الأذهان تتحرر من التقاليد العتيقة التي كانت ميراث القرون الوسطى، وبدأ تكوين أوروبا الحديثة.

(٨) الأوار: الحرارة.

(٩) الدوار: الهلاك والتلف.

(١٠) كوناً مداراً: أي مطرد السير.

(١١) لقد صدق الدكتور هرفورد (C. H. Herford) في تقريره أن شعر شكسبير يمثل «أغنى وأقوى ما أبدعه شاعر من شعراء الإنجليزية، وكيفما نظرنا إليه فليس شعره بالنصيب الصغير من حياته». ومثله صدق جون درايدن "John Dryden" الشاعر الناقد الكبير في اعتباره شعر شكسبير المرأة الكاملة الوفية للحياة وللنفس الإنسانية.

(١٢) عز: قوي ونصر. إشارة إلى أن الفخر الوطني بشكسبير ضائع، فما كان شكسبير ملكاً لوطنه ولا رهنأ لأرضه، بل هو شاعر الكون بأسره، وأثاره إنما هي كتاب الدهر!

(١٣) إشارة إلى مبدعاته المتنوعة التي انتفعت بها طبقات مختلفة من الناس.

(١٤) العفاة: طلاب الفضل.

(١٥) إشارة إلى حسن سيرة شكسبير، فقد كان كما قال السير (سدني لي Sidney Lee) مُحباً لوطنه ذا عقيدة مطمئنة إلى مستقبلها، فكان يتجلى هذا الشعور النبيل في

أدبه، وكان كذلك رجلاً حكيماً شريف السمعة، فزاد هذا من تقديره؛ لأنه دل على أن آثاره نتيجة الإيمان بنفع ما ينشئ، وليست أمثلة من العبث والرياء كما عُرف عن كثيرين من الأدباء في أمم شتى؛ حيث ينظمون ويؤلفون تأليفاً صناعياً ويتظاهرون بغير حقائقهم؛ اقتناصاً لالتفات الجمهور إليهم، وكسباً لعنايته بهم دون استحقاق.

(١٦) الحطام: متاع الدنيا.

(١٧) أغنيت: أسديت الغنى.

(١٨) أغنيت عنه: بمعنى كفيت، إشارة إلى الاكتفاء بإنشائه الجسم المغني عن التمثيل، وإن كان تمثيله في ذاته ثروة أدبية عظيمة. وقد أجمع النقاد تقريباً على أن شكسبير «من أعظم رجال التاريخ لتعمقه وتفننه في تصوير الأحوال النفسية في رواياته» كما قالت صحيفة (الهدى) العربية؛ فقد عد أبطاله وأشخاص رواياته أقرب إلى الحياة من الأحياء أنفسهم! وقيل أيضاً أن شكسبير مرآة الإنسانية، ومع أن أغلب مواضيع رواياته إن لم نقل كلها مأخوذة عن مصادر أجنبية — منها إفرنسية ومنها إيطالية ومنها لاتينية وغير ذلك — فقد فاق في تفننه وتصويره أحوال أبطاله وتكييف وضعياتهم جميع من تقدّمه، ولكل من مشاهير أبطال شكسبير صفة راسخة في ذهن القارئ لا ينساها؛ (فتاجر البنديقية) أحسن مثال للؤم النفس، و(عطيل) مثال الغيرة الحمقاء العمياء، و(الملك لير) مثال التعاسة، و(ماكبث) مثال الغدر، و(جون فلستاف) مثال الهزل والمجون. ومن أقوال جون دريدان: إن شخوص شكسبير لا يراها القارئ إلا ويحس بها أيضاً من قوة تصويره بل وخلقه لها! ومثل هذا التعبير سبقت به دوقة نيوكاسل (The Duchess of Newcastle) وكانت ناقدة بارعة، ولا زلنا نؤمن برأيها حتى اليوم.

(١٩) من صفات شكسبير الأدبية أنه كثيراً ما كان يتبع المذهب الواقعي في تحليله، وفي الوفاء الكلي في تصويره أشخاصه وفيما وضعه على أسنتهم من أقوال تنطبق على صفاتهم الخلقية، على أنه لم ينم عن رأيه الشخصي فيما كتب، ومن الصعب جداً تحديد رأيه الشخصي في موقف ما؛ لأنه اكتفى بالتصوير الدقيق وشرح الشخصيات التي عرضها شرحاً تحليلياً.

(٢٠) هو عصر الريناسنس أو النهضة العلمية الذي بذرت بذوره قبل ذلك وأدركه شكسبير؛ فتذوق معاني الحرية والقوة والخيال الفني بعد العبودية التي كانت قاهرة للإنسان في القرون الوسطى، وحيث أخذ الشعور القومي يتأصل لا سيما بعد هزيمة الأسطول الأسباني.

- (٢١) لم يكذب من قال: إن روح شكسبير هي التي كونت عظماء الرجال الذين بنوا الإمبراطورية الإنجليزية، فقد كان وطنياً عظيماً مخلصاً.
- (٢٢) إشارة إلى مقدرته في تجديد التصوير للتاريخ المنسي.
- (٢٣) الشهاد: العسل. وأول من تحدث من النقاد بحلاوة شكسبير اللفظية والمعنوية هو (فرنسيس ميرز Francis Meres) في نقده لشعراء عصره.
- (٢٤) إشارة إلى ما امتاز به شكسبير من القدرة على الاستفادة والاقتباس من مطالعاته التي كان من آثارها قصة «تاجر البندقية» وغيرها.
- (٢٥) الأد: القوة. وفي هذا البيت إشارة إلى شغف الشاعر الجليل بالجمال، وتقديره للطبيعة وللإنسانية، كما نوه بذلك مؤرخوه.
- (٢٦) إشارة إلى عهد الظلام الفكري الذي شمل أوروبا قبل الريناسنس.
- (٢٧) إشارة إلى الأناشيد الودية الجميلة (السونيتات) التي نظمها شكسبير وأهداها (على الأرجح) إلى صديقه العزيز وناصره (ايرل سوثامبتن Earl of Southampton).
- (٢٨) كانت أولى قصصه التمثيلية مجموع الفكاهة الإنجليزية الرائعة، مثل (مهزلة الأخطاء Comedy Of Errors) ونبذ مختلفة من قصص أخرى.
- (٢٩) يعد (كرستوفر مارلو Christopher Marlowe) — الذي عاش من سنة ١٥٦٤ إلى سنة ١٥٩٣ أعظم أديب نابغة في العصر الإليصاباتي بعد شكسبير، الذي يُعد بمثابة تلميذ لمارلو، وإن تفوق شكسبير نهائياً بقوته الذهنية وبمجموع آثاره العظيمة. وقد نبغ مارلو في الدرام، وفي الشعر الليريكي أو الوجداني.
- (٣٠) المستنتج أن شكسبير في آخر عهده بالتأليف كان أميل إلى السوداء في نظرتة إلى الحياة ودراستها والتعبير عنها، وإن لم يصرح بذلك صراحة ظاهرة.
- (٣١) مناسبة هذا التشبيه الشعري في الوقت الحاضر التحدث عن ارتياد القمر ومخاطبة المريخ ...
- (٣٢) لعل (فلستاف) أكثر شخوص شكسبير إيناساً من وجوه كثيرة، وأحبها إلى قراء شكسبير بالإجمال، وهذا سبب تقديمه في هذه الأمثلة. على أن شخوص شكسبير الشهيرة كثيرة جداً وتكاد كلها تقاسمنا المحبة!
- (٣٣) أي نفاذ الهوى لك.
- (٣٤) إشارة إلى وصية شكسبير بتركه وشأنه في سكون وأمان بقبره.
- (٣٥) المعاد: البعث. والمناسبة لهذا البيت الختامي أن هذا الاحتفال العظيم موعده ذكرى ميلاده.